www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحـــوار المفقـــود

(تأملات في الحوار من خلال سورة يوسف ﷺ)

د. محمد بن فهد الودعان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

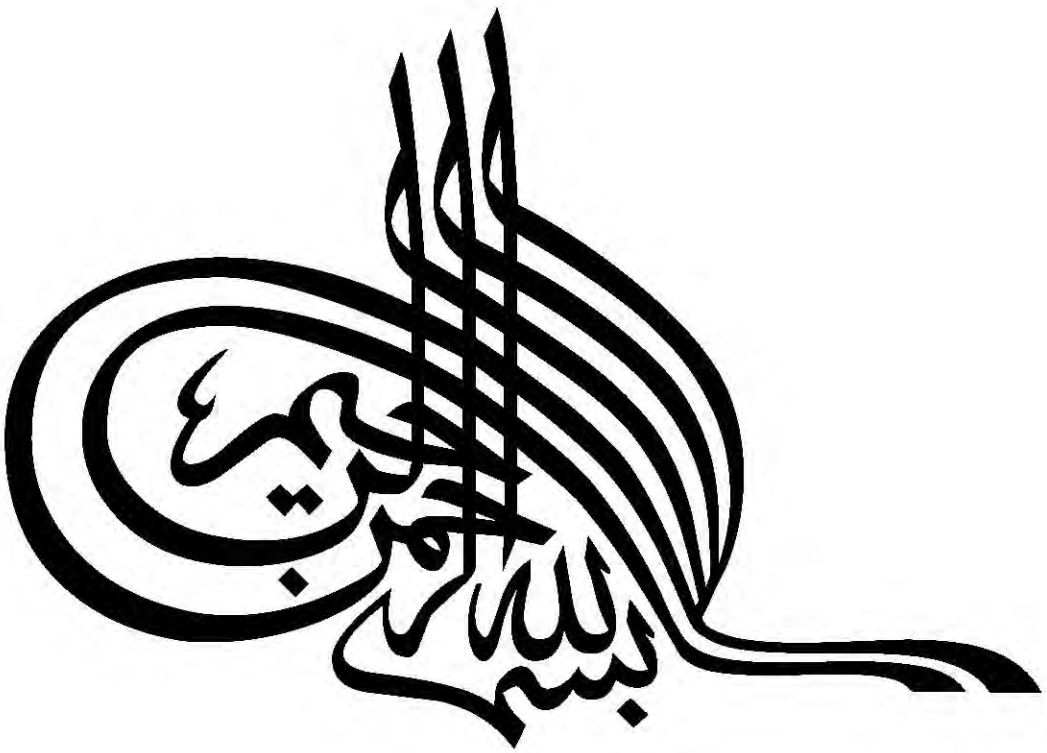

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شكر وتقدير

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد؛

فأود أن أعبر عن خالص شكري وتقديري للأخ الشيخ/ – أبي عبدالرحمن – مجدي بن محمد رشاد البعثي – وفقه الله –؛ الذي زودني بفوائد جليلة خلال مذاكرتنا لسورة يوسف عليه السلام ، كما أشكر أخي فضيلة الشيخ/ عبدالرحمن بن فهد الودعان؛ لمساهمته في إثراء هذا الكتاب بملحوظاته وآرائه الطيبة، سائلاً المولى عز وجل أن ينفع بعلمهما، ويجعل ما قدّماه في ميزان حسناتهما.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الأمين.

د. محمد بن فهد الودعان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

توطئة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فإن موضوع الحوار كغيره من الموضوعات، أُلِّف وكُتب فيه الكثير، وتكررت الكتب الموسومة بـ"أدب الحوار" وبهذه المناسبة وقبل الدخول في موضوعنا أذكر من هذه المؤلفات والمقالات:

١- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، د. صالح بن عبدالله بن حميد.

٢- أدب الحوار والمناظرة، د. علي جريشه.

٣- أصول الحوار. الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٤- حوار الرسول مع اليهود. د. محسن بن محمد بن عبدالناظر.

٥- الحوار مع أهل الكتاب. خالد عبدالله القاسم.

٦- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. يحيى بن محمد زمزمي.

٧- فنون الحوار والإقناع. محمد راشد ديماس.

٨- كيف تحاور؟ د. طارق بن علي الحبيب.

٩- كيف تحاورين؟ د. عبلة جوَّاد الهرش.

١٠- كيف تدير حواراً ناجحاً؟ أكرم مصباح عثمان.

١١- أدب الحوار. د. عائض بن عبدالله القرني.

١٢- أدب بالحوار. د. سلمان بن فهد العودة.

١٣- محاورات زوجية. محمد رشيد العويد.

١٤- أدب الحوار. أحمد كمال أبو المجد (مقال). مجلة المسلم المعاصر.

١٥- قضية الحوار كمبدأ في الإسلام. ندوة مشتركة (مقال) صحيفة الشرق الأوسط.

١٦- أدب الحوار. السيد تقي الدين (مقال) مجلة المنهل.

١٧- أدب الحوار (المقومات، السلبيات). ندوة مشتركة (مقال) رسالة جامعة الملك سعود.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٨- أسس الحوار بين الإسلام والأديان الأخرى. صلاح الصاوي (مقال) مجلة الدراسات الإسلامية.

١٩- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم. عبدالحليم حنفي (مقال) المجلة العربية للعلوم الإنسانية.

٢٠- الحوار (ملحق) ندوة مشتركة. مجلة المنهل.

٢١- الحوار بين الأديان. أنور الجندي (مقال). منار الإسلام.

٢٢- الحوار نافذة من نور. عمر بهاء الدين (مقال). المسلم المعاصر.

٢٣- الحوار والمعادلة المفقودة. محمد الصالح عزيز. مجلة الأمة.

٢٤- أسلوب الحوار في القرآن الكريم. إدريس أوهنا.

٢٥- أدب التخاطب. عبدالله مصطفى العدوي.

٢٦- الحوار في القرآن. محمد حسين فضل الله.

٢٧- في المنهجية والحوار. د. رشيد فكار.

أما عن سورة أو قصة يوسف عليه السلام فقد كتب فيها – مفرداً – واستخلص منها فوائد كثيرة، ومن تلك الكتب:

١- "فوائد مستنبطة من قصة يوسف" للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي. ذكر فيه (٥١) فائدة في وجوه مختلفة، منها ما يتعلق بالرؤى، ومنها ما يتعلق بتربية الأبناء، ومنها ما يتعلق بأصول الحكم والقضاء، وغير ذلك.

٢- "الأسرار البلاغية للحذف في سورة يوسف، لمحمد بن محمود فجال.

٣- "١٧ قاعدة نفسية في سورة يوسف"، لأكرم مصباح عثمان، وقد تناول فيه الأبعاد النفسية في السورة.

٤- "إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف"، لمحمد بن موسى نصر، وسليم بن عيد الهلالي، فقد ذكرا فيه أكثر من ألف فائدة في وجوه مختلفة من السورة، ولكنهما لم يتطرقا لموضوع الحوار لا من قريب ولا من بعيد.

٥- "مؤتمر تفسير سورة يوسف". عبدالله العلمي.

٦- "سورة يوسف دراسة تحليلية". أحمد نوفل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧- "الفوائد المجموعة في الرؤى من سورة يوسف" لكاتب هذه الأسطر.

وهذا الكتاب الموسوم بـــ"الحوار المفقود" من جملة الكتب المؤلفة والتي ساهمت في استنباط الفوائد الجليلة من سورة يوسف – عليه السلام -.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث بالنور والهدى، أما بعد:

فقد اطلعت على كتب كثيرة في موضوع الحوار، واستوقفتني عناوينها، ورأيت أن جُلَّها تحوي عنواناً موسوماً بـ"أدب الحوار"، وكل له خاصيته ومزيته،وكلّ كاتب له أسلوبه وبصمته على ما كتبه، كما أنني قد كتبت مؤلفاً في الحوار، عشت معه وقتاً طويلاً، استنبطته من كتاب الله ﷻ **ووسمته بـ"التربية الحوارية من كتاب ربّ البرية"**، ولا يخفى أن القرآن به حياة القلوب، وهو طريق الأمة إلى النهوض،ومسلكها إلى أوسع الدروب.

وفي خضم العيش بين السور القرآنية ومن بينها سورة يوسف عليه السلام ، ومن خلال بحثي لكتاب "الفوائد المجموعة في الرؤى من سورة يوسف"، استوقفتني آيات الحوار، فوجدت من الأهمية بمكان دراستها، والوقوف عند قراءتها، واستنباط الآداب والقواعد الذهبية للحوار منها؛ ووضعها بين يدي القرّاء الكرام في هذا الكتاب المعنون بـ"**الحوار المفقود**"؛ لما لتلك الآداب من الأثر الفاعل الذي يعود على الفرد - سواء كان تلميذاً، أو مربياً، أو موظفاً، أو رئيساً - ؛ أو على المجتمع ككل – في الاجتماعات، أو المنتديات، أو المؤتمرات، أو المدارس؛ أو الجامعات؛ أو المساجد ، أو البيوت ، لا سيما بين الزوجين، أو بين الآباء والأبناء - ؛ ولتحقيق النفع والخير على حدٍّ سواء.

وبالحوار وآدابه يمكن تحويل المتنازعين والمتشاكسين إلى مجتمع هادئ آمن، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالحوارات والمناظرات العلمية الهادئة من أساليب الوصول إلى الحق، والتقريب بين المختلفين والمتنازعين...

كتبه

د. محمد بن فهد بن إبراهيم الودعان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٩

أدباً مفقوداً في الحوار مستنبطاً من سورة يوسف

١- الإخلاص وصدق النية.

٢- اختيار الوقت المناسب للحوار.

٣- حسن اختيار الكلمات.

٤- التواضع وخفض الجناح.

٥- حسن الاستماع.

٦- العلم بمادة الحوار.

٧- مناداة المحاور باسمه أو لقبه.

٨- الصبر في الحوار.

٩- القوة والثبات على الحق.

١٠- المحبة رغم الخلاف.

١١- احترام الطرف الآخر.

١٢- التدرج والبدء بالأهم.

١٣- الوضوح والبيان.

١٤- الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ.

١٥- التعريض والتلميح.

١٦- ثناء المحاور على نفسه عند الحاجة.

١٧- الحذر والمداراة.

١٨- توقع المخالفة رغم الاقتناع.

١٩- الهدوء والثقة بالنفس.

٢٠- تأكيد القضية وتقريرها.

٢١- استحضار الدليل.

٢٢- البُعد عن نقد الأشخاص.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٣- الإقناع بالاستفهام.

٢٤- الموعظة الحسنة.

٢٥- التعارف.

٢٦- الدعوة.

٢٧- الصدق والأمانة.

٢٨- أدب السؤال.

٢٩- مراعاة الظروف النفسية.

٣٠- الفراسة وحسن التصرف.

٣١- مراعاة الأفهام والعقول.

٣٢- الوصول إلى أخف الأضرار.

٣٣- البدء بمواضع الاتفاق.

٣٤- الحكمة في الحوار.

٣٥- الدعاء.

٣٦- التحايل للوصول إلى الحق.

٣٧- الإحسان.

٣٨- العفو.

٣٩- البساطة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١- الإخلاص وصدق النية

إن الإخلاص لله – تعالى – سبب لكل خير في الدنيا والآخرة، ولا بد من توفر الإخلاص وصدق النية في الحوار؛ ذلك لأن العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصاً لله – تعالى – وابتغي به وجهه، صواباً وموافقاً لشريعة رسول الله ﷺ .

وقد جاءت دعوة الأنبياء لأقوامهم، بصدقهم فيها، وإخلاصهم وحسن مقصدهم، ولهذا وصف الله – تعالى – نبيه يوسف عليه السلام بهذه الصفة:

١- قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ومن النصوص الواردة في الإخلاص في الحوار: ما جاء في دعوة يوسف عليه السلام للسجينين، ولامرأة العزيز، ولإخوته، وصدقه وحسن نيته في حواره، وإبداء النصح لهم والبلاغ ومراقبة الله – تعالى – في السرِّ والعلن:

٢- قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

فهنا يوسف عليه السلام في حواره مع امرأة العزيز أعلن لها قطع الطريق الموصل إلى المعصية، مع وجود الداعي القوي فيه، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، وقدم الخوف ومراقبة الله على الفعل القبيح؛ لأنه على الحق ومن خالفه فهو على الباطل.

٣- قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

يلاحظ في حوار يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن أنه وطَّن نفسه، وروضها على الإخلاص لله في دعوته معهما، فدعاهما لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والتبرؤ من كل ما سوى الله – تعالى –.

٤- قوله تعالى: – عندما صارح يوسف إخوته في حواره معهم بالحقيقة –: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ * قَالُوٓاْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

* قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٩ – ٩٢].

يتضح جلياً كمال يوسف عليه السلام في نصحه وصدق نيته، وتصفية قلبه مع إخوته – مع ما بدر منهم – بعيداً عن الجدل والنزاع والفتنة، وهكذا سار الأنبياء في حواراتهم مع أقوامهم ودعوتهم ومضيهم إلى طرق القلوب وتليينها واستمالتها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢-اختيار الوقت المناسب للحوار

١- قال سبحانه وتعالى – عن يوسف حين أدخل السجن ومعه الفتيان، حيث بدأ الحوار بسؤالهما -: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

ثم شق يوسف عليه السلام طريقه في الحوار وبما آتاه الله من العلم مستغلاً الفرصة – وظروف السجن النفسية -، فبدأ الجواب النبوي؛ لتصحيح المعتقدات الفاسدة: ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨].

ثم يأتي الحوار بالتصريح بالدعوة إلى التوحيد بعد التلميح، بلطف ولين؛ ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب لحصول مطلوبه، فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

٢- قوله تعالى – عن يوسف وإخوته - : ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

فإخوة يوسف لما رجعوا وأخبروا أباهم بما جرى لهم مع يوسف وأخيهم بأنه قد سرق، ثم لما ذهبوا إلى مصر؛ لاستقصاء أخبار يوسف وأخيه، ولما دخلوا على يوسف، وسمع مقالتهم، رقَّ لهم، وعَّرفهم بنفسه: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهنا استغل يوسف الفرصة – قبل فواتها – ، واختار الوقت المناسب للحوار، مقدراً تلك الظروف المحيطة؛ مصححاً لمفاهيمهم؛ موضحاً للحقائق، ولهذا عرفوا أن الذي خاطبهم هو يوسف، فـ: ﴿**قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا**﴾ [يوسف: ٩٠].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- حسن اختيار الكلمات

ما من حوار في القرآن الكريم إلا وتلحظ في ثناياه، ما يُحرّك المشاعر، ويخاطب الوجدان، ويختار من الكلمات ما تطيب به النفوس، وتنشرح لها الصدور، ومن الموضوعات الحوارية التي برز فيها هذا الأدب بجلاء في سورة يوسف عليه السلام:

١- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَأَبَتِ﴾ [يوسف: ٤].

فجمال كلمة (يا أبت) وترددها على أسماع يعقوب عليه السلام وبكل ما تحمله من فيض عاطفي وتدفق وجداني، تبين حسن اختيار هذه الكلمة، في حوار الابن مع أبيه.

٢- قوله تعالى - على لسان نبيه يعقوب، عليه السلام - : ﴿يُبُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾ [يوسف: ٥].

ففي هذا الحوار من الأب تمهيداً وجدانياً مثيراً ومنبهاً للابن - وبكلمة حسنة - يُحذِّره من عواقب ذكر رؤياه لإخوته.

٣- قال سبحانه - عن نبيه يعقوب، عليه السلام، لما حاور بنيه - : ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣].

فيعقوب عليه السلام بهذه الكلمات، وبأسلوبه الجميل لطَّف الحوار مع أبنائه، ثم ختم كلامه بالاعتذار عنهم بأنه في حال لعبهم وانشغالهم وغفلتهم عن يوسف لربما أكله الذئب.

٤- وقوله تعالى - عن نبيه يوسف في حواره مع السجينين - : ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

٥- وقوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ [يوسف: ٤١].

ففي هذا الحوار ومع أن نبي الله يوسف عليه السلام في السجن، كانت كلماته وعباراته ناصعة، ومؤنسة، يتحبب إلى السجينين، ويخاطبهما بالصحبة لهما؛ ولهذا استخدم ضمير المخاطب؛ لأجل تقريب الألفة والمودة، وهذا يدل على فنون الحوار في حسن اختيار العبارات.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦- قوله تعالى – عن الساقي -: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾.

فقد تلطَّف الساقي بالسؤال، ووصف يوسف عليه السلام بمنزلة الصِّدِّيقية، وهذا من حسن السؤال وفن من فنون الحوار.

وعلى هذا فإذا كانت تلك طريقة مخاطبة الأنبياء مع أقوامهم، أو مخاطبة أقوامهم لهم، وهم على ما هم عليه من الأدب الرفيع، والإيمان الراسخ، فمن باب أولى وأحرى بنا أن ننهج هذا الأسلوب وهذه الطريقة في حواراتنا، ونقدم فيها الكلمات الحسنة، والعبارات الطيبة التي تفتح القلوب وتستميلها لتقبل ما يقال.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٤- التواضع وخفض الجناح

١- قال تعالى – خلال كلام يوسف مع أبيه يعقوب عليهما السلام - : ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْت**﴾ [يوسف: ٤].

فيظهر من خلال هذا الحوار الرفق واللين واستمالة قلب الأب والتواضع وخفض الجناح عند مخاطبته، أو من هو في مقامه.

والمتأمل لهذا الحوار يرى في كلمة (يا أبت) تذكيراً له بالصلة القوية التي تربط بينهما، وهي رابطة الأبوة والبنوة، وما يكون عادة بين الوالد والولد من محبة أحدهما للآخر.

قال الشافعي رحمه الله: "التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة". الذهبي، سير أعلام النبلاء (٩٩/١٠).

ومن الصور النقيضة لهذا الأدب والتي سجلها القرآن الكريم خروج إخوة يوسف عن الجادة في حوارهم مع والدهم يعقوب عليه السلام قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ**﴾ [يوسف: ٩٤-٩٥].

وقبل ذلك قوله عز وجل: ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ [يوسف: ١٧].

وقبله أيضاً قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**﴾ [يوسف: ١١].

مما تقدم يتبين لنا أن التواضع وخفض الجناح – لا سيما مع الكبار - يشعر بأهمية الحوار، ويقود إلى فتح القلوب، وكسب الخصم إلى صفك، وارتفاع منزلتك وقدرك عنده، فبالتواضع يخضع الخصم، ويستقيم الحوار، ويتوجه حصول الفائدة المرجوة.

٢- وقال يوسف عليه السلام لإخوته - في حواره معهم تواضعاً منه- : ﴿ **قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [يوسف: ٩٢].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٥- حسن الاستماع

أو ما يُسَمَّى بـــ"إتقان الإنصات" ونجد هذا الأدب ظاهراً في الحوارات الواردة في سورة يوسف عليه السلام من ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ [يوسف: ٤].

فيظهر أدب الاستماع أثناء الحوار حينما قص يوسف عليه السلام رؤياه على أبيه وأخذ والده يعقوب يستمع له، ثم سطر لنا القرآن روعة الجواب أثناء هذا الحوار، فقال عز وجل – على لسان يعقوب عليه السلام – : ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥-٦].

فحسن الاستماع مما ينبغي أن يُلتَزَم في الحوارات التي تدور داخل الأسرة بين الأب وابنه، في جو من الألفة والمحبة، دون انفعال أو توتر،وكم من حوارات كانت نتيجتها الفشل بسبب ترك التزام هذا الأدب الرفيع!

٢- قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ١٧-١٨].

دل ما تقدم من هذا الحوار الذي دار بين يعقوب عليه السلام وإخوة يوسف على حسن الإنصات والاستماع، وفي هذا دليل أيضاً على حسن الخلق.

٣- قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف: ٣٦].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فيوسف عليه السلام مع ما فيه من تقييد للحرية، ومن العزلة عن الناس، ومع أنه في السجن، استمع إلى السجينين، وقد أبانت الآية كيف أن يوسف استمع إليهما، وتحبب لهما؛ ليفصح عن عقيدته ودعوته، ويكشف عن فساد اعتقادهما، وما هما عليه من الشرك.

٤- قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦].

ففي هذه الآية الكريمة جاء الساقي – الذي نجا من القتل – وهو الذي أوصاه يوسف عليه السلام أن يذكره عند ربه، فنسي بعدما عبّر له رؤياه، فبدأ حواره مع يوسف عليه السلام بذكر رؤيا الملك، فأخذ يسأله عن تعبيرها، ولم يعنفه يوسف عليه السلام على نسيانه، بل استمع إليه، وأجابه عن الرؤيا في الحال.

٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

مما تقدم من الآيات ومن أهم ما تحمله قصة يوسف عليه السلام من الدروس المستفادة في الحوار: نتعلم أدب الاستماع إلى المحاور حتى ينتهي من كلامه. وفي هذا معنى مهم أيضاً، وهو ألاّ نقاطع المتحدِّث مهما كان كلامه في نظرنا رديئاً، فالغلبة والانتصار ليس برفع الصوت، ولا بالقوة، ولو كان ذلك يتأتى بمثل هذا الأسلوب لكان الجهال أولى بالنصر والفوز في الخصومات، بينما الواقع والتاريخ يشهد بأن الانتصار في الخصومة يكون بالحجة والبرهان والعقل والحكمة، وأن يكون الهدف هو إظهار الحق.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦- العلم بمادة الحوار

١- قال تعالى: ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

فدلت الآية على قوة علم المحارو وأهليته للحوار، وأنه لا ينبغي أن يدخل الشخص في الحوار إلا وقد أحاط بما يحاور به علماً، وأن يكون لديه خبرة عالية بالظروف المحيطة به زماناً ومكاناً.

٢- وقال ﷻ - في شأن يعقوب عليه السلام عندما قال لبنيه - : ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

دلّ على ثقته بالله ﷻ - وأنه على يقين من علمه وإخلاصه، وظهر تصريحه بأنه أعلم منهم.

وفي هذا دليل على أن العلم شرط أساسي لنجاح الحوار وتحقيق غايته.

٣- وقال يوسف للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

وقد أجاد يوسف عليه السلام العرض أثناء حواره مع الملك، وانتقى أحسن العبارات، وأجمل الألفاظ؛ فازداد احترامه، واستمع له الملك، وجعله على خزائن الأرض، وولاه إياها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧- مناداة المحاور باسمه أو لقبه أو بالوصف المناسب له

١- قال ﷻ – عن يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن -: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ٤٠] وأيضاً [الآية: ٤١].

فالحوار بدأ بمناداتهما بوصف الصحبة المقتضية للمودة، فناداهما يوسف عليه السلام بوصف يسرهما، وهذا من باب الأدب في الحوار ومدخل إلى الاهتمام بهما وكسبهما إلى ما هو أهم.

٢- قال سبحانه – عن عزيز مصر في حواره مع يوسف - : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩].

فعزيز مصر نادى يوسف باسمه في هذا الحوار؛ وذلك لما تحقق الأمر فطلب من يوسف أن يترك ذِكْر ما كان من امرأته وأن لا يذكره لأحد؛ طلباً للستر على أهله.

٣- قول الساقي أثناء حواره مع يوسف: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦].

فالساقي التزم أدب الحوار في عرض الرؤيا على يوسف عليه السلام، فأتبع لفظ العَلَم بلفظ اللقب، واقترن الاسم والوصف، وهذا في غاية الأدب والاحترام، ومناداة العالم بما هو أليق به.

ولا شك أن مناداة المحاور باسمه ، ولا سيما بكنيته فيه معنى جميل، يضفي من التحبب والتقرب وانشراح الصدر للطرف الآخر.

٤- قول يعقوب عليه السلام لأبنائه أثناء حواره معهم: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

٥- وقوله: ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧].

ففي هذا الحوار إليهم يتجلى هذا الأدب، ويبقى في تعامله مع أبنائه بروح الأبوة، حيث يشعرهم بالأهمية والاحترام.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٨- الصبر في الحوار

نجد هذا جلياً في حوار يوسف عليه السلام مع إخوته، قال تعالى: ﴿**لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [يوسف: ٩٢].

فيوسف عليه السلام يكيد له إخوته ويفرقون بينه وبين أبيه سنين عدداً، ثم لما ظهر عليهم وانكشف أمرهم، فإنه لم يكتفِ بالصفح عنهم، بل زاد على ذلك، فأعلن لهم أنه لم يلمهم، ولم يعيرهم، ومع ذلك دعا لهم بالمغفرة والرحمة.

قال السعدي رحمه الله : "فسمح لهم سماحاً تاماً، من غير تعيير لهم على ذلك الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين"اهـ. السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص٤٠٥).

فمن قواعد الإنصاف – في الحوار – : الأخذ بالصبر، والرفق، واحتمال الأذى، ومقابلة السيئة بالحسنة، كما قال تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: ٣٤].

وبهذا استمال الرسول ﷺ قلوب أعدائه، وعالج قسوتها حتى لانت، واستقادت، وقبلت الحق، وما ذاك إلا بصبره، وتحمله الأذى... قال تعالى: ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٥].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٩- القوة والثبات على الحق

١- قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ففي هذا الحوار يواجه يوسف عليه السلام موجة رهيبة، وموقفاً صعباً، فامرأة العزيز تدعوه إليها، وتغلّق الأبواب.. إلا أنه يقف في ثبات وقوة، فصبر عن المعصية، مع وجود الداعي القوي فيه، ودعا الله – سبحانه – أن يجعله في السجن؛ مخافة الوقوع في السوء؛ ولهذا قال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

٢- وقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

وعند تأمل هذه الآية الكريمة نجد قوة يوسف عليه السلام وثباته على الحق، وهو دين آبائه وما هم عليه من التوحيد وذلك بإفراد الله – تعالى – بالعبادة وحده، فهو يواجه من يحاور، ويفصح عن معتقده ودينه وقيمه بقوة وجسارة وثبات، وما ذاك إلاّ اعتزاز المؤمن بربه، وبالحق الذي يدعو إليه.

٣- قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

ابتدأ هذا الحوار عندما طلبوا من يوسف عليه السلام تأويل رؤيا الملك،وبعدما فسر يوسف الرؤيا، قال الملك لأعوانه وحاشيته: أخرجوا الرجل المعبر للرؤيا من السجن وأحضروه لي، فلما جاءه الرسول يدعوه قال يوسف للرسول: ارجع إلى سيدك الملك، واطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن وشأنهن معي؛ لتظهر الحقيقة للجميع؛ وتتضح براءتي، إن ربي عليم بصنيعهن لا يخفى عليه شيء من ذلك.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهو عليه السلام لما جاءه الفرج، وسنحت له الفرصة للخروج من السجن، لم يستجب لذلك؛ ليحفظ كرامته؛ وتظهر براءته وعزته؛ ويتبين الحق؛ ليعرفه أهل المدينة جميعاً بما فيهم الملك، ولهذا احترمه الملك، ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي**﴾ [يوسف: ٥٤].

وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "**لو لبثتُ في السجنِ ما لَبِثَ يوسفُ ثم أتاني الداعي لأجَبْتُهُ**". البخاري، في صحيحه (٦٩٩٢).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠- المحبة رغم الخلاف

قال سبحانه وتعالى – فيما دار من الحوار بين يوسف وإخوته - : ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١].

فقد أقّر إخوة يوسف أمامه بأنهم كانوا خاطئين بما فعلوه بيوسف وأخيه.

فهم استشعروا الندم والحسرة على ما بدر منهم، فاعترفوا بخطيئتهم.

ثم جاء الردّ عليهم – في هذا الحوار، رغم الخلاف الذي حصل بينهم – إذ يعلن يوسف عليه السلام قبوله اعتذارهم، فهو لم يذكرهم بذنبهم، ولم يؤنبهم، ولم يَلُمْهُم، بل عفا عنهم وزيادة على ذلك استغفر لهم: ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وهذا يدل على كمال عقل يوسف عليه السلام، وفقهه بضرورة المحافظة على أواصر الأخوة والمحبة، وتنقية القلوب وتصفيتها مما يكدرها.

وعلى هذا فمن أدبيات الخلاف عدم التثريب بين المختلفين، حتى ولو كان أحدهما أصدق إيماناً، وأوسع علماً، وأرجح عقلاً من الآخر.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١١- احترام الطرف الآخر

١- قال ﷻ- في حوار يعقوب عليه السلام مع بنيه - : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ [يوسف: ١١].

إلى أن ردّ عليهم يعقوب عليه السلام : ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣].

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

٣- وقوله: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٣-٦٤].

٤- وقوله سبحانه – عن يعقوب عليه السلام : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

٥- وقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٦-٨٧].

وعلى الرغم مما فعله إخوة يوسف، فلم يواجههم يعقوب عليه السلام بالعبارات النابية، أو الألقاب السيئة، وإنما بادلهم الاحترام، وحاورهم بالتي هي أحسن.

٦- قول يوسف للفتيين اللذين دخلا معه السجن: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

فحوار يوسف عليه السلام معهما كان في غاية الأدب والاحترام، مع أنه يقرر لهما عقيدة التوحيد، وأنهما كانا على الشرك.

٧- ثم قال – مرة أخرى -: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ [يوسف: ٤١]

فقوله: (يا صاحبي السجن) فيه حذف حرف الجر، وتقديره: في السجن.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا الحذف - في الحوار - يشير إلى ملاطفته لهما؛ ليشعرهما أنه قريب منهما؛ فاستخدم هذا الأسلوب أيضاً ليقبلا عليه، ويسمعا منه ما هو أهم عنده، وهذا أقرب إلى قبول حواره وسماع نصيحته، ولهذا قال الله تعالى، عن نبيه محمد ﷺ : ﴿**وَلَو كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلبِ لَانفَضُّواْ مِن حَولِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٨- قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي**﴾ [يوسف: ٨٨-٩٠].

ففي هذا الحوار المتقدم بين يوسف عليه السلام وإخوته نجد الأدب بين الطرفين، والحنان والشفقة في مواجهة يوسف عليه السلام لهم، فلم يخرج عن حدود الأدب والاحترام في الحوار، مع أن إخوته اقترفوا جناية عليه طال مداها، وهم الآن يقفون بين يديه موقف المحتاج والفقير، ومع هذا كلّه فلم يواجههم بالتعنيف أو الكلام الجارح البذيء، بل خاطبهم باستفهام التقرير لا التقريع والتوبيخ؛ رأفة بحالهم، وأدباً منه؛ فكأنه يقيم العذر لهم بقوله: (إذ أنتم جاهلون) أي: إذ أنتم صبيان صغار في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة.

وكان مراد يوسف عليه السلام من ذلك التمهيد تعريفهم بنفسه، إذْ آن أن يصارحهم به، وأراد أن يدعوهم إلى التوبة مما فعلوا، فكان كلامه وحواره معهم، من باب الشفقة عليهم، والنصح لهم في الدين، لا معاتبة وتثريباً، فكان موفقاً في ذلك. خفاجي، تفسير القرآن الحكيم (١٢/١٩٨).

٩- قال تعالى: ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [يوسف: ٢٦].

فلفظ يوسف عليه السلام : (قال هي) لم يرد فضيحة امرأة العزيز، ولا أذيتها بكلامه، فلم يقل (أنتِ)، فهو خاطبها بضمير الغائب احتراماً لها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهكذا أخلاق الأنبياء، فهم يمثلون قمة الأخلاق في تقدير الطرف الآخر، ويظهرون اهتمامهم به، ويحفظون ألسنتهم عما يسوءه من الألفاظ، وذلك أن المقصود بيان الحق، وإزهاق الباطل، لا تعيير الناس أو إذلالهم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢- التدرج والبدء بالأهم

قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩].

فنبي الله يوسف عليه السلام ابتدأ الحوار بما هو أهم، وهي القضية العظيمة التي بُعثت الرسل من أجلها، وهي توحيد الله وعبادته، وبعد هذا التمهيد الأهم شرع لهما في تعبير رؤياهما، وأنهى هذا الحوار.

ويؤيد هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً على اليمن قال: "**إنك تَقْدَمُ على قوم أهلِ كتابٍ، فليكُنْ أوَّلَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله، فإذا عَرَفوا اللهَ، فأخبرهُم أن الله قد فرض عليهم خمسَ صلواتٍ في يومهم وليلَتِهم، فإذا فعلوا الصلاةَ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاةً تؤخذُ من أموالهم وتردُّ على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فَخُذْ منهم وتوقَّ كرائم أموالِ الناس**" [البخاري، في صحيحه: ١٤٥٨].

قال ابن حجر: "بدأ بالأهم، فالأهم، وذلك من باب التلطف في الخطاب؛ لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة".اهـ. ابن حجر، فتح الباري (٣/٣٥٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٣- الوضوح والبيان

فعند تأمل سورة يوسف عليه السلام نجد هذا الأدب جلياً وذلك في قوة التعبير، وحسن البيان، وجودة العرض الذي بدأ به يوسف عليه السلام في حواره سواء مع صاحبي السجن، أو مع ساقي الملك، أو مع إخوته، أو مع ملك مصر، وبيان ذلك في الآتي:

١- ففي حواره مع الفتيين يتضح لنا:

أ- الدقة في الأسلوب والبيان والقصد في الدعوة إلى الإيمان؛ لحاجتهما إليه؛ ليكون أنجح لدعوته؛ وأقبل لهما.

ب- الوضوح في اختيار الأدلة والشواهد على إفراد الله بالتوحيد، وإخلاص الدين والعبادة له.

ج- مناسبة الألفاظ للمعاني، وجمال العرض، والاختصار غير المخل لتحقيق الفائدة المرجوة من هذا الحوار.

د- الترغيب للطريق الذي هو عليه، والشفقة عليهم بترك الشرك واتباع الدين الذي هو إخلاص الله بالعبادة وترك ما سواه من الشرك.

٢- وفي حواره مع ساقي الملك يتضح: الإيجاز في الجواب والبيان التفصيلي في المسألة المفروضة موضوع النقاش، وهي رؤيا الملك.

وتأمل في قوله عز وجل: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا** ﴾ [يوسف: ٤٥-٤٦].

فالذي نجا من القتل – ساقي الملك – بعدما سمع حوار الملك مع حاشيته أثناء طرح الرؤيا، طلب أن يرسلوه؛ ليعبر الرؤيا، فأرسلوه، فأسرع في ذهابه، والتقى بيوسف، وقص عليه الرؤيا، فجاءت المواجهة بينهما..

فالملاحظ أن هناك جملاً طويت (حُذفت)؛ لأن مفهوم السياق يدل على ذلك، وهذا من صفات ومميزات الأسلوب القرآني الذي يقوم على الإيجاز في عرض القصص، مع الوضوح والبيان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- وفي حوار يوسف عليه السلام مع إخوته – في آخر القصة - : ﴿ **قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾ [يوسف: ٨٩].

يتضح لنا: أن يوسف عليه السلام خاطب إخوته بكلامٍ بيّنٍ واضح، وفيه البعد عن تكثير الكلام أو تكراره، وهذا يتضح من خلال خطابهم باستفهام التقرير، واختياره للإجابة الصريحة الواضحة.

وفي هذا الحوار دلالة لبيان الأمر، وتجلية الحقيقة؛ لتصفية القلوب، وإعادة الود، وهو من كمال نصح يوسف عليه السلام ، وعلمه، وإرشاده.

٤- أما حواره مع الملك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٥].

فيه صياغة لغة الحوار، حيث تميزت بالوضوح والبيان، وجمال العرض والصراحة الواضحة، والاختصار في الكلمات.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٤- الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ

١- قال ﷻ - في حوار يوسف عليه السلام مع إخوته وبيان الحق لهم - : ﴿ **قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**﴾ [يوسف: ٨٩].

فهنا ذكرهم يوسف عليه السلام بما فعلوه، وحاورهم ليبين لهم الحق، ولهذا عرفوا أن الذي يخاطبهم هو يوسف، فـ﴿ **قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي**﴾ عندها استشعروا الندم والحسرة على ما كان منهم، فاعترفوا بخطيئتهم قائلين: ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾ [يوسف: ٩٠-٩١].

فرجعوا - في هذا الحوار - إلى الحق، واستقبحوا فعلهم، وسلّموا له.

٢- وقال تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**﴾ [يوسف: ٩٧].

وفي هذه الآية الكريمة يتكرر الحوار ويبرز أدب من آدابه وما ينبغي للمحاور أن يتميز به، إذْ من الطبيعي أن الإنسان يخطئ ويصيب، فإخوة يوسف عليه السلام اعترفوا أمام أبيهم بخطئهم وطلبوا منه المغفرة، وبهذا كسبوا احترام وود أبيهم، وقبله يوسف عليه السلام ، فقال يعقوب عليه السلام: ﴿ **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [يوسف: ٩٨].

٣- وقال تعالى: ﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [يوسف: ٥١].

ففي هذا الحوار يتضح جلياً إقرار امرأة العزيز على نفسها بأنها هي التي حاولت فتنه يوسف - يوسف عليه السلام - ، وهي التي راودته عن نفسه فامتنع، وإنه لمن الصادقين في كل ما قاله، وبريء من التهمة التي سجن لأجلها.

ثم تواصل امرأة العزيز اعترافاتها والتسليم بخطئها فتقول كما أخبر الله عنها: ﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**﴾ [يوسف: ٥٢].

فتقول: إن إقراري على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالكذب عليه، ولم تقع مني الفاحشة، وأنني راودت يوسف، واعترفت بذلك لإظهار براءتي وبراءته...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم تواصل – أيضاً – اعترافاتها الجريئة فتقول: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يسف: ٥٣].

والمعنى [(١)] : أنها تقول: وما أزكي نفسي وأبرؤها، إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي؛ طلباً لملذاتها، إلا من عصم الله، إن ربي غفور لذنوب من تاب وأناب إليه.

فهذا الأدب – أعني: الإذعان أو الرجوع إلى الحق، والتسليم بالخطأ، وعدم الانتصار للنفس – مما ينبغي أن يتحلى به كل محاور، حتى يحقق الحوار ثمرته، ويتوصل به إلى النتيجة المرجوة.

---

(١) ذهب بعض المفسرين إلى أن ذلك من قول يوسف عليه السلام، كما حكاه ابن جرير وابن أبي حاتم. ينظر: الطبري، جامع البيان (١٤٠/١٦)، والأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام أن ذلك من قول امرأة العزيز. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٨٢/٢). قال ابن تيمية، في دقائق التفسير (٢٧٣/٢): "هذا كله من كلام امرأة العزيز، ويوسف إذْ ذاك في السجن لم يحضر بعد إلى الملك، ولا سمع كلامه ولا رآه. ولكن ظهرت براءته في غيبته كما قالت امرأة العزيز: (ذلك أني لم أخنه بالغيب).."، وممن أيد هذا الرأي السعدي، في تفسيره (ص٤٠٠، ٤٠١) حيث قال: "وهذا هو الصواب أن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف، فإن السياق في كلامها، ويوسف إذْ ذاك في السجن لم يحضر.."ا.هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٥- التعريض والتلميح

قال ﷻ- في حوار يوسف مع السجينين - : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

في هذه الآية الكريمة أسلوب رائع، وأدب رفيع من آداب الحوار، هو التعريض والتلميح والبعد عن التصريح.

فيوسف عليه السلام يلمح في حواره مع السجينين، حيث كان مليئاً بالثقة والطمأنينة، وفيه التودد والملاطفة معهما؛ ليدخل من مؤانستهما إلى صلب الدعوة وتصحيح العقيدة، فينتهز الفرصة ويعرض لهما موضوع القضية المهمة – بطريقة غير مباشرة – ؛ ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب إلى القبول، وسماع النصيحة، وبالتالي يكونون مستعدين لتقبل ما يلقى إليهما؛ ذلك أنّه في بعض الحالات يكون أسلوب التعريض والتلميح أنجح للمقصود، وأوقع تأثيراً في النفس من التصريح.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٦- ثناء المحاور على نفسه عند الحاجة

١- قال ﷻ - في حوار يوسف ﷺ مع السجينين -: ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧].

وفي الآية جواز ثناء المحاور على نفسه بالحق، كأن يكون عالماً وجهلت مترلته في العلم، فوصف نفسه بما هو بصدده، وكان غرضه أن يقتبس منه، وينتفع به في الدين أو الحوار، فيجوز تزكية النفس بالإفصاح عن مقدار علمه في موضوع الحوار أو في أي مسألة لموضوع النقاش، أو كان في ذلك غرض أو مصلحة، وأن ذلك ليس من التزكية المذمومة.

٢- وقوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

وفي الآية أن يوسف ﷺ وصف نفسه - في حواره مع الملك - بالحفظ والأمانة والعلم، وليس هذا من الفخر والإعجاب، وإنما لينفع العباد، ويقيم العدل بينهم.

وهذا الأدب يستخدم في الحوار عند الحاجة، وتحقيق المصلحة والفائدة التي تحقق غاية الحوار.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٧- الحذر والمداراة

قال تعالى: ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨].

إذا تأملنا ثنايا هذا الحوار الجميل مع السجينين، نجد الرفق وخفض الجناح، والقول اللين ومداراة يوسف عليه السلام لهما، ودخوله خطوة بعد خطوة إلى قلبيهما في حذر ولين وتحبب، مع الإشارة إلى فضل الله تعالى، وشكره على نعمة التوحيد والإيمان.

قال ابن بطال رحمه الله: "المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، وترك الإغلاظ في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة". ابن حجر، فتح الباري (١٠/٥٤٥).

والفرق بين المداهنة والمداراة: أن المداراة مدافعة الخصم حتى تصل إلى مطلوبك، أما المداهنة: فهي موافقة الخصم والرضا بما يصدر منه من قول باطل أو عمل مكروه.

"فالمحاور الذكي الناجح هو الذي يحسن مداراة خصمه، والحذر منه، فيحتاط في ذلك، ويحترز عن كل ما يسيء إليه أو يعطّل سير الحوار أو يعكر صفو الجوّ بين الطرفين". زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه (ص٥٠٢).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٨- توقع المخالفة رغم الاقتناع

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥].

معنى الآية: ثم ظهر لعزيز مصر وأصحابه – من بعد ما رأوا الأدلة على براءة يوسف عليه السلام أن يسجنوه إلى زمن يطول أو يقصر؛ مصلحة لهم؛ ومنعاً للفضيحة.

فهم قرّروا حبس يوسف عليه السلام بعدما ظهرت براءته، مع أنهم على قناعة بأنه على الحق.

وعلى هذا "ينبغي للمحاور أن يوطن نفسه لأن يخالفه الآخرون – ولو كان مصيباً على الحق – ولو أقام الحجج والبراهين، وحشد الأدلة والشواهد، ولو لم يبق لخصمه متمسكاً من شبهة أو دليل، فربما يقتنع الطرف الآخر داخلياً، وتستيقن نفسه أن محاوره على الحق، لكنه يجحد ويعاند، بتأثير عوامل نفسية...، أو سيطرة الهوى على العقل والقلب، وعند ذلك فقد لا يجدي معه منطق ولا دليل" زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه (ص٥٠٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٩- الهدوء والثقة بالنفس

عند تأمل سورة يوسف عليه السلام نجد أن هناك نماذج كثيرة في بيان أدب الهدوء والاطمئنان، والثقة بالنفس وأثره على الحوار، من ذلك:

١- صبر يوسف عليه السلام على إخوته وما فعلوه به، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

٢- ما جرى له مع امرأة العزيز واتهامها له لفعل الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

يتضح من هذه الآية الكريمة: ثقة يوسف عليه السلام بنفسه، وضبطها، والردّ ببساطة وهدوء دون أدنى انفعال أو مزايدة في الكلام.

٣- حسن استماعه أثناء الحوار وهدوئه وثقته بنفسه مع السجينين، وساقي الملك، والملك نفسه.

٤- ثقة وطمأنينة يعقوب عليه السلام في حواره مع إخوة يوسف عليه السلام رغم مخالفتهم له، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٧-١٨].

فقصة يوسف عليه السلام بمجرياتها وأحداثها تمثل القدوة في آداب الحوار من الهدوء، والطمأنينة، والثقة بالنفس، وحسن الاستماع، والملاطفة، واللين، والسماحة، حتى مع المخالفين على جميع مستوياتهم وطبقاتهم.

إن هدوء الشخص واستقرار نفسه، وهدوء لغته، وحسن عبارته، وقوة حجته هو الكفيل بأن تنصاع له القلوب، وأن يصل الحق الذي يحمله إلى أفئدة الآخرين، وأن يتغلَّب على باطلهم أو ما هم عليه من الاعتقاد الباطل، كما فعل يوسف عليه السلام مع السجينين.

فقيمة الإنسان في قدرته على ضبط نفسه ومشاعره.

أَقْبِلْ على النَفسِ فاستَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فأنتَ بالنفسِ لا بالجِسْمِ إنسانُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٠- تأكيد القضية وتقريرها

١- قال تعالى – في حوار يوسف مع السجينين، وهو يؤكد ويقرر لهما التوحيد -: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

٢- وقوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨].

٣- وقوله تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

مما تقدم في الآيات الكريمة يتضح أن – في هذا الحوار – ثمة قضية بارزة مهمة، ركز عليها يوسف عليه السلام وأكدها، في تلك المواضع، فأخذ يُلمح قبل التصريح لهما، ثم تقرّب إليهما وتوّدد لهما، ثم وصف آلهتهما بالتعدد والتفرق وأنها أسماء لا معاني وراءها، وخاطبهما بأسماء الله، ثم بدأ بالتصريح بما يعبدون، ودعاهما إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة.

٤- ومن الأمثلة في هذا الجانب – أي في تأكيد القضية وتقريرها أمام الخصم – ما جاء في حوار يوسف عليه السلام مع إخوته: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

فيوسف خاطب إخوته باستفهام التقرير، المتضمن إقرارهم واعترافهم بالخطأ والتسليم به.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢١- استحضار الدليل

١- قال ﷻ: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥-٢٨].

إن أول ما ينبغي استحضاره والعناية به، وأهم ما يجعل الحوار ناجحاً هو: الدليل، ذلك أن الإقناع لا بد أن يكون بالأدلة والبراهين والحجج، فهي التي تجعل السامع يقتنع بالكلام دون تردد.

ففي المقطع – المتقدم – يقدم الشاهد الذي حضر الواقعة في قصر امرأة العزيز حجةً ودليلاً قوياً للزوج على براءة يوسف عليه السلام من التهمة المنسوبة إليه، وأثبت الشهادة المبنية على منطق الواقع، وهذا أسلوب عملي في الإقناع المنطقي.

ويظهر اقتناع زوج المرأة في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩].

ويتضح من كلام العزيز تقريب يوسف وملاطفته في الخطاب عندما ثبتت لديه براءته، وأن امرأته هي التي أرادت السوء والفحشاء.

وهذا الدليل العملي هو الذي يقتنع به الآخرون، ويمكن إفحامهم به. ديماس، فنون الحوار والإقناع (ص١٥٣).

٢- قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ففي هذا الحوار من يوسف عليه السلام مع السجينين، إذ جاء التعبير بطرح الحقيقة المعقولة مصحوبة بدليلها، أعبادة آلهةٍ مخلوقة شتى خير أم عبادة الله الواحد القهار؟

ما تعبدون من دون الله إلا أسماءً لا معاني لها، جعلتموها أنتم بتقليدكم الأعمى الموروث من آبائكم أرباباً، ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٢- البُعد عن نقد الأشخاص

١- قال تعالى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣].

فعند تأمل هذه الآية الكريمة نجد أن يعقوب عليه السلام نسب المانع إلى عدم إرسال يوسف مع إخوته إلى الذئب، فهو لم يوجه – في حواره – النقد إلى أشخاصهم؛ احتراماً لهم؛ وبعداً عن إهانتهم؛ أو ما يحط من كرامتهم.

٢- قال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

فلو تأملنا قول يعقوب عليه السلام: (سولت لكم أنفسكم) لوجدنا أنه لم يصف أبناءه بالكذب، وإنما حوّل نقده إلى ما زينته لهم أنفسهم من الأمر القبيح في التفريق بينه وبين يوسف.

ومثله قوله: (على ما تصفون) فعزا – هنا – الكذب والنقد إلى قولهم لا إلى أشخاصهم، وهذا من باب كسب مودتهم ومحبتهم.

٣- قال الله تعالى – في حوار يوسف مع رسول الملك بعدما فسر رؤيا الملك -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

فقد ذكر السؤال عن تقطيع الأيدي، و لم يذكر مراودتهن له؛ تنزهاً منه عن نسبة ذلك إليهن، ولذلك لم ينسب المراودة – فيما تقدم – إلى امرأة العزيز إلاّ بعد أن رمته بدائها وانسلت.

وقد اكتفى – هنا – بالإشارة الإجمالية بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾، فجعل علم الله – سبحانه – بما وقع عليه من الكيد مغنياً عن التصريح. ينظر: الشوكاني، فتح القدير (٣٤/٣)؛ وعثمان، ١٧ قاعدة نفسية في سورة يوسف (ص٨٤).

٤- قوله تعالى: - في حوار يوسف مع صاحبي السجن قبل أن يعبر رؤياهما - : ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهنا واجه يوسف عليه السلام القوم عامة، وهم ما عليه – من الكفر – الملك وحاشيته والناس في زمانهم، ولم يواجه السجينان بشخصيتهما – في حواره معهما –؛ من أجل ملاطفتهما، وعدم إحراجهما، وألاّ ينفرهما من الدعوة إلى الله.

٥- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].

فقوله (أيتها العير) حذف المضاف، إذْ المراد "أصحاب العير".

وهذا الحذف يشير إلى عظم الأمر وكِبَرِه، فهو يشمل القافلة كلّها، فالكلّ متهم.

وفي هذا الحوار أمر خفي يدركه المتأمل في ثنايا الآية الكريمة، وهو أن يوسف عليه السلام لم يُرِدْ إذايتهم بندائهم (أيتها الرجال إنكم لسارقون) أو (يا أصحاب العير إنكم لسارقون).

وبخاصة أنهم بريئون – وهو يعلم ذلك –، ولكن يوسف عليه السلام اختار هذا التعبير؛ ملاطفة وكياسة؛ ليتم له ما يريد من بقاء أخيه عنده، على وجه لا يشعر به إخوته؛ ولهذا تأمل قوله: (أيتها العير) وكأن المؤذّن يخاطب العير لا الرجال. ينظر: فجال، الأسرار البلاغية للحذف في سورة يوسف (ص٤٢، ٤٣).

٦- قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

قال السعدي – رحمه الله، في هذا الحوار، في "تيسير الكريم الرحمن" (ص٤٠٥) –: "وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب؛ لتمام عفوه عن إخوته؛ وأنه لا يذكر ذلك الذنب؛ وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إليّ.

فلم يقل: "جاء بكم من الجوع والنصب"، ولا قال: "أحسَنَ بكم" بل قال (أحسن بي) جعل الإحسان عائداً عليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) فلم يقل: "نزع الشيطان إخوتي" بل كأن الذنب والجهل صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة"ا.هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مما تقدم ينبغي عدم الخلط بين موضوع النقاش (الحوار) وبين الشخص، فيتحول الحوار في موضوعٍ ما إلى هجوم على الأشخاص، وبالتالي يفقد الحوار هدفه المنشود؛ فتتحول الساحات أو الاجتماعات إلى فضائح واتهامات غير محققة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٣- الإقناع بالاستفهام

من حسن البيان التنويع في الطرح أثناء الحوار، كأن يبدأ الحوار في صورة تقرير، أو طلب، أو في شكل قصة، أو في صورة استفهام...

والمتأمل في كتاب الله – تعالى – يجد أن هذه الأساليب كثيرة وفي مواضع عديدة من سور القرآن الكريم، وقد وجد لذلك نصيب في سورة يوسف عليه السلام، من ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

فيلاحظ في الآية الكريمة – أن يوسف عليه السلام بدأ حواره مع السجينين باستخدام السؤال؛ فالاستفهام تقريري، وأراد بكلامه تقريرهما بإبطال دينهما وتصحيح معتقدهما، والدخول إلى دعوتهما، وهذا إتقان وفن من فنون الحوار، يقود إلى مسار الإجابة الصحيحة؛ لإقناع الطرف الآخر.

٢- قوله عز وجل: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

فخاطب يوسف عليه السلام إخوته باستفهام التقرير، أدباً منه، ورأفةً بهم وبجاهلهم، وهو من أدب الإقناع بالاستفهام.

٣- وقال تعالى – على لسان نبيه يعقوب، عليه السلام، وهو يحاور ويخاطب بنيه –: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦].

استخدم نبي الله يعقوب عليه السلام الإقناع بالاستفهام وذلك عن طريق السؤال الموحي بالإجابة، وهو من الأسئلة التي تستدرج الطرف الآخر للإجابة بنعم، أو بكلمة بلى، وهو من ضمن الأساليب التأثيرية التي تجعل الطرف الآخر يضطر للموافقة، أو بمعنى أن المحاور يطرح السؤال على الشخص المقابل الذي يقوده إلى الإجابة الصحيحة.

ومثل ذلك:

٤- قوله تعالى – في حوار إخوة يوسف مع كبيرهم في السنّ –: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْثِقاً مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٠].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٤- الموعظة الحسنة

الحوار إنما يكون بالموعظة الحسنة، ويكون بأسلوبي: الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى؛ وذلك لكسب العقول والقلوب معاً، ولهذا تعتبر الموعظة والمعاملة الحسنة من الأساليب الإقناعية الناجحة في الحوار، ومن شواهد هذا الأدب:

١- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَأَبَتِ﴾ [يوسف: ٤].

٢- وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَبُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً﴾ [يوسف: ٥].

٣- وقوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: ٦].

في الآية الأولى: استخدم يوسف عليه السلام مع أبيه أسلوب الترغيب في الحوار، بقوله (يا أبتِ)، ذلك أن الترغيب يدعو المحاور إلى الإذعان، وقبول السماع، والحث على الفعل، والإجابة على السؤال ونحو ذلك.

وفي الآية الثانية: استخدام يعقوب عليه السلام أسلوب الترغيب وذلك بحثه وتحذيره من قص رؤياه على إخوته.

وفي الآية الثالثة: استخدام أسلوب الترغيب بتذكيره بفضائل الله ونعمه المشهورة والمحسوسة في الدنيا بإتيانه العلم والهدى.

٤- حوار يوسف عليه السلام مع السجينين: ﴿يَٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩ – ٤٠].

ففي هذا الحوار رغبهما للطريق الذي هو عليه، بالشواهد الواضحة، ثم أشفق عليهما بترك الشرك واتباع الدين الصحيح.

فاختار الكلمات المؤثرة، والعبارات الحسنة من الوعظ والتذكير بالله لعل قلوبهم تنفتح وتخشع وتلين لدعوته.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٥- قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٨ - ٤٩].

٦- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٤].

فهنا الملك رغب يوسف عليه السلام وعرض عليه أن يكون خصيصة له ومقرباً لديه، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

فقد استخدم يوسف عليه السلام أسلوب الترغيب والتذكير بالفضائل والنعم وذلك بتسخير خيرات الأرض لهم، وبإرسال الأمطار، وإنبات الزرع والثمار وكثرتها، حتى إنهم يعصرون العنب ونحوه زيادة على أكلهم.

٧- قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيۤ أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩].

فيوسف عليه السلام في هذه الآية - استمال قلب أخيه - في حواره معه - ، حيث رغَّبه إليه، واختصه من بين إخوته، وأخبره بحقيقة حاله، ثم ذكَّره بأنّ العاقبة خير لهم.

٨- قال تعالى - في الحوار الذي دار بين يوسف وإخوته - : ﴿قَالُوۤاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف: ٧٧].

ففي الآية الترغيب في كظم الغيظ أثناء الحوار، حينما يكذب الخصم عليك أو يجرحك بكلام افتراء عليك أو يأذيك أو نحو ذلك، فالمحاور عليه أن يتعلم كيف يحكم ويضبط نفسه وغضبه، وكيف يتجنب إثارة الآخرين إذا غضبوا، ولا يستجيب لدواعي الغضب والاستفزازات التي تعرض له أثناء الحوار.

٩- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨].

نلاحظ في هذا الحوار أن إخوة يوسف سلكوا طريقاً مؤثراً في حوارهم مع يوسف عليه السلام بحيث ذكروا له أن فراق أخيهم سيشق على أبيهم - يعقوب - وأنه لا يصبر عنه، فرغبوه إلى الإحسان إليهم وإلى أبيهم في ذلك.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

فهنا اختاروا أسلوب الترقيق والرأفة بهم وبحال أهلهم؛ ليتصدق عليهم، وذكروه بالله، وبثوابه الجزيل في الدنيا والآخرة.

١١- قال تعالى: ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

يلاحظ أن يوسف عليه السلام يذكر إخوته بما يلين قلوبهم من ثواب الله، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، ورغبهم في التجرد وطلب الفضل من الله تعالى.

وعلى أي حال فإن أسلوب الترغيب والترهيب من أنجح الأساليب الحوارية، وأبلغها تأثيراً في النفوس وأعظمها أثراً في الواقع، إذا استعمل بشكله الصحيح وفق الضوابط الشرعية، وما تضمنتها تلك الآيات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٥- التعارف

من المهم بمكان، بل ومن الوسائل المهمة في تهيئة الجو المناسب للحوار: التعارف بين المتحاورين، وسؤال الطرف الآخر عن نفسه، أو عن اسمه، كأن يبدأ المحاور بالتعريف بنفسه، أو بسؤال محاوره عن اسمه، وهذا يفيد في الاستعداد ودخول جو الحوار والهدوء، وضبط النفس وفتح القلب أمام الطرف الآخر.

ولعل من الشواهد:

١- قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨].

ففي الآية إشارة إلى أن معرفة القوم تفيد في تحديد الأسلوب المناسب، والاستعداد للدخول في جو الحوار، لا سيما أن يوسف عليه السلام لما عرفهم رغبهم في الإتيان بأخيهم، ومن ثم الإحسان إليهم بالكيل.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَاْ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩].

في الآية دلالة على أن يوسف عليه السلام تعرف على أخيه وعرفه بنفسه، وفي هذا التعارف تسهيل البدء في الحوار واستمراره والوصول إلى نتيجته وثمرته.

٣- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٩٠].

فهنا بدأ إخوته بسؤاله عن اسمه، فعرف يوسف إخوته بنفسه وبأخيه؛ لتتحقق المعرفة؛ وتزال الشبهة.

فهو عليه السلام أجابهم بما يناسب الحال، مما كان له الأثر لاستمالة وفتح قلوبهم.

ويؤيد ما تقدم حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن وفدَ عبدِالقيس لما أتوا النبي ﷺ قال: "**مَنِ القومُ؟ أو من الوفدُ؟**" قالوا: ربيعةُ، قال: "**مرحَباً بالقومِ، أو الوَفْدِ، غير خزايا ولا نَدَامَى**" البخاري في صحيحه (٥٣) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:"قال ابن أبي حجرة:في قوله:"من القوم؟"دليل على استحباب سؤال القاصد عن نفسه؛ ليعرف فيتزل مترلته"اهـ ابن حجر، فتح الباري (١/١٣١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٦- الدعوة

الضابط الذي ينبغي أن يحقق الحوار هو تحقيق الهدف المشروع، والمصلحة المعتبرة، وأهم تلك الأهداف في الحوارات هو الدعوة إلى الله – تعالى – ؛ ولهذا كانت حوارات الرسل مع أقوامهم، فتارة يكون بالدعوة إلى توحيد الله وبيان أهميته وفضله، وتارة يكون بالنهي والزجر عن الشرك والإلحاد، وأحياناً يكون حول إثبات وجود الخالق ووحدانيته، أو في ربوبيته وألوهيته..، ومن الأمثلة والشواهد على هذا – في سورة يوسف عليه السلام – :

قوله تعالى: ﴿**يٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: ٣٩ – ٤٠].

من فطنة يوسف عليه السلام أنه اغتنم الفرصة في أثناء حواره مع السجينين فبدأ بدعوتهما قبل أن يعبر رؤياهما؛ ليكون أنجح لمقصوده؛ وأقرب لحصول مطلوبه.

وقد لمسنا في قصة نبي الله يوسف عليه السلام الدعوة إلى الله في حواراته، في كل زمان ومكان، مهما كانت الصعوبات، ولهذا وجه دعوته وهو في ظلمات السجن، وظلمهم له، ومع هذا كسب ثقة السجينين له، فقالا له: ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف: ٣٦].

ويؤيد ما تقدم حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثَهُ إلى اليمن: "**إنك ستأتي قوماً أهلَ كتابٍ، فإذا جئتَهُمْ فَادْعُهُمْ إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحمداً رسول الله، فإنْ هُم أطاعوا لك بذلك فأخبرهُمْ أنّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كلِّ يومٍ وليلةٍ**" البخاري في صحيحه (١٤٩٦).

فدل هذا الحديث على الدعوة إلى الله تعالى، والتدرج في الحوار، ومعرفة حال المحاور؛ للاستعداد والتأهب له؛ ليدعو إلى الله على بصيرة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٧- الصدق والأمانة

إن من أصول الحوار وأساسياته: أن يكون المحاور صادقاً أميناً، والحوار وما يحمله المحاور – لا سيما في دعوته – أمانة يجب تبليغها بصدق وإخلاص، وعدم كتم شيء من الحق، أو إخفاء بعض العلم الذي له علاقة بموضوع النقاش أو الحوار.

ولما كان أدب الصدق والأمانة من الأهمية بمكان، حرص الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – على إبراز هذا الأدب قبل حوارهم مع أقوامهم، ولهذا وصف الله – تعالى – نبيه يوسف عليه السلام بهذا الأدب وله مواقف فيه، ومن تلك الشواهد:

١- صدق يوسف وأمانته في سرد رؤياه على أبيه، قال تعالى – مبيناً صدق قصته ورؤياه، وسلاسة عبارتها ورونق معانيها – : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣].

٢- تكذيب يعقوب عليه السلام لإخوة يوسف عندما ﴿جَآءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] وأن المحاور لا بد أن يكون صادقاً في حواره أميناً فيما يعقل ويعرض، ولهذا رد عليهم يعقوب عليه السلام : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

٣- صدق يوسف عليه السلام في حواره لما امتنع من إجابة طلب امرأة العزيز بعد المراودة الشديدة، فبرأ نفسه مما رمته به، وقال: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦].

ولهذا تبين صدقه وبراءته – بقول الشاهد –، قال سبحانه:

٤- ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٧ – ٢٨].

وبهذه القرينة القوية، وهي أن قميصه شق من خلفه، يدل أن المرأة هي التي طلبته وراودته، وعرف بذلك صدق يوسف وبراءته، وأن امرأة العزيز هي الكاذبة، وبعد ذلك كله، اعترفت اعترافاً تاماً في الحوار الآخر، فتبين بذلك صدق يوسف عليه السلام ولهذا:

٥- ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ ٱلآنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ففي هذا الحوار ظهر الحق بعد خفائه، فاعترفت امرأة العزيز بأنها هي التي حاولت فتنة يوسف بإغرائه فامتنع، وإنه لمن الصادقين في كل ما قاله.

٦- قال تعالى: ﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيۤ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُمْ بِٱلآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

فدلالة هذه الآيات واضحة على الأمانة في العرض، وذكر الأدلة والبراهين وما يقوله لهما، وصدقه فيما جاء به من الدعوة إلى الله ﷻ، وما هم عليه من الشرك، ومن لوازم ما يدعو إليه أيضاً إخلاصه وتجرده في إيصال الحق مع من يحاور، وعدم كتم العلم الذي يحمله، وجعله الأهم في موضوع الحوار.

ولهذا وبعدما عرفوا صدقه وما جاء به وثقوا به، وقال الذي نجا من القتل:

٧- ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾ [يوسف: ٤٦].

ووصفه بأنه كثير الصدق؛ وفي هذا دلالة على أنه جرّب صدقه قبل ذلك، واطمئن إليه وبعلمه وأمانته.

٨- قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

لما علم الملك براءته وأمانته، وحسن خلقه – جاء في هذا الحوار – وكلّمه وقال له: إنك عندنا عظيم المكانة، ووصفه بأنه مؤتمن على كلّ شيء، ولهذا أثنى يوسف عليه السلام على نفسه بالأمانة والحفظ والعلم والبصيرة.

وفي هذا دليل على أن من الأمانة أن يُسند الأمر لأهله، ويوضع الرجل المناسب في المكان المناسب؛ ليكون أنفع لنفسه ولأمته ومجتمعه؛ فالأمم لا تقوم ولا تنهض إلاّ بجهود أبنائها وإخلاصهم وأمانتهم.

ثم يأتي سياق الآيات – في سورة يوسف – ؛ ليتضح لنا أدب الصدق والأمانة على لسان إخوة يوسف بعدما عرفهم وعرفوه فـ:

٩- ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أي أن الله فضلك علينا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وأعزَّك بالعلم والحلم والصدق والفضل والأمانة؛ وإنا كنا لخاطئين بما فعلناه.

ثم تأتي الآية الأخيرة – في هذه السورة والقصة العظيمة – لتختم لنا ما تقدم من الأحداث والحوارات وغيرها – سواء ما جاء في هذه السورة أو غيرها من السور – بأنه صدقاً غير مختلقٍ ولا مكذوب:

١٠- قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٨- أدب السؤال

مما ينبغي للمتحاورين أثناء الحوار وعند طرح الأسئلة أن يتعلموا أدب السؤال، حتى ينضبط الحوار ويطيب المقال، ولهذا قيل: "أدب السائل أنفع من الوسائل" الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٩/٣٩٨).

وقال ابن حجر:"العلم سؤال وجواب، ومن ثم قيل: حسن السؤال نصف العلم" ابن حجر، فتح الباري (١/١٤٢).

وللسؤال أغراض وآداب متعددة، فأحياناً يكون: للتقدمة بين يدي السؤال، والاعتذار قبل طرحه، وأحياناً يكون الاستفهام تقريرياً، وأحياناً يكون للتعرف على الطرف الآخر، ومن الآداب أيضاً التي ينبغي للسائل أن يتأدب بها مع محاوره: اختيار الصيغة المناسبة، وإيضاح السؤال وتجنب الإبهام، ومنها اختصار السؤال والبعد عن الإطالة أو الإطناب في ذكر تفاصيل لا حاجة لها بموضوع النقاش أو الحوار لا من قريب ولا من بعيد، إلى غير ذلك من الآداب والأغراض ينظر: زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه (ص٤٥٢ – ٤٥٥). إلى غير ذلك من الأغراض، ومن تلك الشواهد في قصة أو سورة يوسف عليه السلام:

١- قال تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

قال يوسف للفتيين اللذين معه في السجن: أعبادةُ آلهةٍ مخلوقة شتى خير أم عبادة الله الواحد القهار؟

وهنا استخدم يوسف عليه السلام الإقناع بالمقابلة بين أمرين (بين الحق والباطل)، وأنه يقابلهما في سؤاله بين شيئين، ويوازن متضادين، فالأشياء تتميز بأضدادها، وتعرف الأمور بنظاؤها، فهل هذه الأرباب والمعبودات خير أم الله الواحدُ القهار؟

ولا يخفى ما في هذه الموازنة والمقابلة من إثارة للانتباه.

كما أنه استخدم هذا الأسلوب لغرض الإنكار عليهما؛ لأنهما بحاجة إلى النصح والتوجيه، وبالتالي إقامة الحجة عليهما.

٢- قول يعقوب لبنيه، قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هنا يعقوب عليه السلام استخدم مع بنيه صيغة السؤال؛ لتصحيح أو تأكيد معلومات لديهم، كما خاطبهم باستفهام التقرير على ما بدر منهم مع يوسف عليه السلام ، وهذا من حسن البيان عند الطرح والمحاورة.

٣- قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٩].

فهنا خاطبهم باستفهام التقرير، وتأدب مع إخوته في الخطاب، وكان مراد يوسف عليه السلام من ذلك التمهيد، تعريفهم بنفسه إذْ آن يُصارحهم بما فعلوه، وكذلك أراد أن يدعوهم إلى التوبة من فعلتهم هذه، فكان كلامه شفقةً عليهم، ونصحاً لهم في الدين، لا معاتبةً وتثريباً، ولهذا أحسن السؤال معهم. ينظر: فجال، الأسرار البلاغية للحذف في سورة يوسف (ص٤٥، ٤٦).

٤- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَٱرْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦].

ففي هذه الآية يلاحظ أنه لما جاء البشير إلى يعقوب عليه السلام ، وطرح قميص يوسف عليه السلام على وجهه، فعاد يعقوب مبصراً، قال لمن عنده: ألم أخبركم أني أعلم من الله ما لا تعلمون من فضل الله ورحمته وكرمه؟

فلم يصرح بالجواب ولهذا ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، فمن أدبه الرفيع طرح السؤال الذي يستدرج الطرف الآخر للإجابة بنعم أو بكلمة بلى؛ لأن إخوة يوسف عليه السلام يعلمون الحقيقة، فهنا هم في وضع الاضطرار معه إلى إعطاء الموافقة والتأكيد على الإجابة بـ"بلى".

ومن الأمثلة والشواهد على أدب اختصار السؤال، وتجنب ذكر التفصيلات، حتى لا يضيع وقت المتحاورين، أدباً ومراعاة مع من تتحدث معه:

٥- قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَانِيٓ أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ ٱلآخَرُ إِنِّي أَرَانِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فنلاحظ هنا اختصار السؤال من السجينين، والاقتصار على ما يتعلق بالموضوع، وهو سؤال كل واحد منهما يوسف عليه السلام عن رؤياه، وهذا من أدب السؤال بين المتحاورين.

كما نجد في طرح سؤالهما عن رؤياهما الصيغة المناسبة المؤدية إلى المعنى، وهذا أيضاً من أدب السؤال في الحوار.

٦- قوله تعالى - في سؤال الساقي عن رؤيا الملك -: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: ٤٦].

٧- وقوله تعالى - في حوار يوسف، عليه السلام مع رسول الملك -: ﴿**قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٠].

مما تقدم في الآيتين الكريمتين يلاحظ: تحسين الألفاظ، وترتيب المعلومات، والاختصار أيضاً في السؤال، وهذه من آداب السؤال التي ينبغي على المحاور مراعاتها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٩- مراعاة الظروف النفسية

والمعنى مراعاة الآداب التي تتعلق بنفسية المحاور وشخصه، وبنفسية الطرف الآخر، فهناك ظروف نفسية قد تطرأ على الحوار، فتؤثر عليه تأثيراً سلبياً، فينبغي مراعاة ذلك حتى ينتج الحوار ويحقق غايته. ينظر: زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه (ص١١٦).

وقد تقدم ذكر هذه الآداب، كتهيئة الجو المناسب للحوار، وتحديد وقته، والإخلاص وصدق النية، والتواضع وخفض الجناح، والصبر، وحسن الاستماع، والمحبة رغم الخلاف، والهدوء والثقة بالنفس، واحترام الطرف الآخر، والبعد عن نقد الأشخاص.

ومن الشواهد أيضاً على هذا الأدب من سورة أو قصة يوسف عليه السلام:

١- قوله تعالى – على لسان يعقوب عليه السلام –: ﴿**قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا**﴾ [يوسف: ٥].

فهنا يعقوب عليه السلام قد راعى ما يحيط بيوسف عليه السلام مع إخوته من ظروف نفسية، فخاف عليه من حسد إخوته، ولهذا نهاه أن يذكر لإخوته رؤياه.

لماذا؟ لأن الغيرة السائدة بين الإخوة بركان راكد، ويكفي نظرة واحدة لتفجيره، ولهذا قد تجد الصغير يحسد الكبير على ما لديه من مكانة خاصة لدى والديه، أو لدى الآخرين.

ومن المعاني السامية واللفتات التربوية التي راعى فيها يعقوب عليه السلام نفسية وشخصية ابنه – يوسف عليه السلام في حواره معه، وذلك حينما ناداه باسم البنوة: (قال يا ويل) وهذا من التحبب والشعور بالأهمية والاحترام والألفة والمودة بينهما، وفيه بناء الثقة معه وتدعيم العلاقة وتوثيقها أكثر.

٢- قوله تعالى – أيضاً على لسان نبيه يعقوب، عليه السلام–: ﴿**يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ**﴾ [يوسف: ٨٧].

فها هو يعقوب عليه السلام في مواقف عصيبة وحالة محزونة، بقي في حواره وفي تعامله مع أبنائه بروح الأب الحاني الذي يشملهم بأبوته العظيمة، ويحببهم إلى نفسه؛ مراعاة لظروفهم النفسية. عثمان، ١٧ قاعدة نفسية في سورة يوسف (ص٤٠، ٤١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- قول الله - تعالى - في حوار يوسف عليه السلام مع السجينين: ﴿يَٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

٤- قوله سبحانه - على لسان يوسف عليه السلام، أيضاً -: ﴿يَٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾ [يوسف: ٤١].

مما تقدم يتضح أن يوسف عليه السلام قد راعى حال السجينين وما هما فيه من فراغ وضيق وكرب وحالة نفسية، لا سيما أن السجين قد تحدث له الرؤى وتتكرر عليه، وبالتالي يتعلق بها، خاصة أنهم معزولون عن الناس، والأبواب قد أغلقت عليهم، وقد يرى السجين ما يشعره بقرب خلاصه أو الإفراج عنه، ولهذا اتخذ يوسف عليه السلام منهما صاحبين؛ ليشعرهما بالألفة والمودة، ويكون مدخلاً إلى دعوتهما.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٠- الفراسة وحسن التصرف

الفراسة تعني: اختلاس العارف النظر في الشخص والتصرف على حاله.

أو هي القدرة على التنبؤ والنظر في البواطن، بقوة الذكاء والفطرة. ينظر: ابن الجوزي، غريب الحديث (١٨٤/٢)؛ والحازمي، فراسة المؤمن (ص٩)؛ والودعان، ضوابط الرؤيا (ص١٩٥).

وعلى هذا فمن أدب الحوار أن يكون المحاور سريع البديهة، حسن التصرف، ذكياً فطناً، متفرساً في الطرف الآخر؛ لأن ذلك قد يؤثر على نجاح الحوار أو فشله.

ومن الشواهد على هذا الأدب في سورة يوسف عليه السلام:

١- قول يعقوب ليوسف – عليهما السلام، عندما قص عليه رؤياه –: ﴿**قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا**﴾ [يوسف: ٥].

في الآية حسن تصرف يعقوب عليه السلام حينما حذّره من قص رؤياه على إخوته، وفيها عبرة بتوسم يعقوب عليه السلام أحوال أبنائه وارتيائه أن يكف كيد بعضهم لبعض. وفيها أيضاً الاحتراز من كل احتمال يخشى ضرره.

٢- قوله تعالى: ﴿**وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ١٨].

معنى الآية أن إخوة يوسف عليه السلام جاءوا بقميصه ملطخاً بدم غير دم يوسف؛ ليشهد على صدقهم، فكان دليلاً على كذبهم؛ لأن القميص لم يُمزَّق.

فهنا نبي الله يعقوب عليه السلام واجه أبناءه بأن ما فعلوه من أمرٍ قبيحٍ، إنما هو من أنفسهم الأمارة بالسوء، وبالتالي فهو من فطنته وذكائه تفرس بوصفهم ومراوغتهم، وواجه قولهم – في هذا الحوار – بدحضه والرد عليه؛ ذلك أن الذئب لو كان أكل يوسف – كما يزعمون – لمزَّق وشقّ قميصه! ولهذا قال: ﴿**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾، وفي قوله تعالى – على لسان يعقوب، عليه السلام –: ﴿**يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ**﴾ [يوسف: ٨٧].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- قول عزيز مصر لامرأته في يوسف: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾ [يوسف: ٢١].

قال ابن مسعود (١) ﷺ: "أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف، حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾، وابنة شعيب حين قالت لأبيها في موسى: ﴿ٱسْتَأْجِرْهُ﴾ [القصص: ٣٦]، وأبو بكر في عمر ﷺ حين استخلفه".

وفي رواية أخرى: "وامرأة فرعون حين قالت: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾ [القصص: ٩].

٤- أن يوسف عليه السلام بشرهم بعد فراغه من تأويل رؤيا الملك بمجيء العام الثامن مباركاً خصيباً كثير الخير، غزير النعم، وذلك بقوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩].

وذلك من جهة الوحي، أو من جهة الفهم والذكاء وكمال الرأي والتفرس، إذْ من المعلوم أن بانتهاء السبع الشداد مجيء الخصب، والله أعلم.

٥- قال تعالى عن يوسف: ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

فيوسف – قبل خروجه من السجن – طلب من الرسول أن يرجع إلى الملك؛ ليسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن معه؛ وفي هذا حسن التصرف، وبعد نظر من يوسف عليه السلام؛ لتظهر الحقيقة للجميع، وتتضح براءته، وبهذا قطع أقاويلهم وما هم عليه من الخطأ والتشكيك.

---

(١) أثر ابن مسعود ﷺ أخرجه: ابن أبي شيبة، في المصنف (١٤/٥٧٤) رقم (١٨٩٠٤)؛ والطبراني، في المعجم الكبير (٩/١٦٧) رقم (٨٨٢٩)؛ والحاكم، في المستدرك (٢/٣٤٥ – ٣٤٦) وغيرهم، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود موقوفاً، وهو صحيح على شرط مسلم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣١- مراعاة الأفهام والعقول

أو بمعنى آخر إنزال الناس منازلهم في الحوار ومخاطبة الناس على قدر عقولهم وأفهامهم، فلا يتكلف المحاور في علم لا يبلغه عقل محاوره، كما أن عليه أن يختار لكل محاور الأدلة التي تناسبه وتقنعه، والطريقة التي تقربه من الحق، وهذا لا يمكن إلا إذا عرف المحاور مستوى الطرف الآخر وحجم علمه ومقدار فهمه، فمخاطبة عالم تختلف عن مخاطبة طالب، ومحاورة الكبير غير محاورة الصغير. ينظر: زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه (ص٤٩٤ – ٤٩٥)؛ والندوة العالمية للشباب الإسلامي، أصول الحوار (ص٢٤).

وشواهد هذا الأدب في هذه السورة العظيمة في الآتي:

١- عندما دخل السجن مع يوسف عليه السلام الفتيان، فهما سألاه حينما رأيا أنه من الذين يحسنون تعبير الرؤيا، ومن العالمين بالتأويل، فقد عرفا مستوى يوسف عليه السلام تأكدا من علمه، وأنزلاه منزلته في المحاورة.

٢- حوار يوسف عليه السلام مع السجينين، حيث راعى نفسية وعقلية كل واحد منهما، وفهم مرادهما ولهذا رتب لهما الاستدلال بوجه خطابي قريب من أفهام العامة فقال: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ [يوسف: ٣٩]، ولهذا شرع في دعوتهما، وذكر لهما الأدلة والبراهين على وحدانية الله عز وجل، ثم عبر رؤياهما.

٣- حوار يوسف عليه السلام مع الملك، فقد خاطبه بما يناسبه، وبالطريقة التي تقربه من الحق، ولهذا قربه الملك، وجعله من خلصائه وأهل مشورته، وأنزله منزلته، وراعى مكانته كما ينبغي له.

٤- حوار يوسف عليه السلام مع إخوته، عندما اتهموه بالسرقة: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧].

فأخفى يوسف عليه السلام في نفسه ما سمعه من اتهام إخوته له بالسرقة، وحدث نفسه مراعاة لأفهامهم، وأحوالهم، ونفسياتهم قائلا: أنتم أسوأ منزلة ممن ذكرتم، حيث دبرتم لي ما كان منكم، والله أعلم بما تصفون من الكذب والافتراء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فما أحوج المربين في زمننا – سواء في حقل التدريس، أو في مجال التربية بصفة عامة – إلى مراعاة أفهام الناس، ومخاطبتهم على قدر عقولهم، وهذا ما نجده – عند التأمـــل – في ثنايا القرآن الكريم، وكذا السنَّة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٢- الوصول إلى أخف الأضرار

تقدم أن من الآداب المهمة في الحوار البدء بالنقاط المشتركة، وتحديد مواضع الاتفاق بين المتحاورين؛ لأن البدء بالأمور المتفق عليها من المسلمات والبدهيات، كما أن لها الأثر الإيجابي بين المتحاورين.

لكن قد يعترض ذلك ويكدره التنافس في غلبته بعضهم على بعض، وتخطي الهدف الذي أقيم من أجله الحوار ابتداءً، وبالتالي يحصل الاختلاف والتباعد بين المتحاورين.

ولكن يمكن أن نقلل الفجوة، ونجعل فرص الخير أفضل، واحتمال الشرِّ أقل وأهون وذلك بالوصول إلى أخف الأضرار للطرفين.

ونلاحظ أن هذا الأدب جاء جلياً في حوار إخوة يوسف عليه السلام فيما بينهم؛ فحين اتفقوا على التفريق بين يوسف وأبيه، ورأى أكثرهم أن القتل يحصل به الإبعاد الأبدي: ﴿**قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ [يوسف: ١٠].

فخفف به الشَّر عنهم؛ ولهذا لما وردت السيارةُ الماء، وأدلى واردهم دَلْوَه تَبَشَّر بوجوده وقال: ﴿**هَـٰذَا غُلاَمٌ**﴾ [يوسف: ١٩].

وكان إخوته حوله، فقالوا: إنه غُلامٌ أبقَ منَّا، وتبايعوا معهم: ﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّاهِدِينَ**﴾ [يوسف: ٢٠]. السعدي، فوائد مستنبطة من قصة يوسف (ص٣٣).

قال السعدي رحمه الله في "تيسير الكريم الرحمن" (ص٤٠٨) في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة - : "ومنها أن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما، فإن إخوة يوسف، لما اتفقوا على قتل يوسف أو إلقائه أرضاً، وقال قائل منهم: ﴿**لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ ٱلْجُبِّ**﴾ كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير"اهـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٣- البدء بمواضع الاتفاق

لا شك أن الخلاف بين الناس وارد لا محالة وهو من طبيعة البشرية، ولا شك أن بين كل اثنين مختلفين حداً مشتركاً من النقاط المتفق عليها بينهما والتي يسلم بها الطرفان.

والمحاور الذكي الناجح هو الذي يبدأ في حواره مع الآخرين بالنقاط المتفق عليها وذلك من خلال طرح الأسئلة التي يعلم أن إجابتها ستكون بـ(نعم).

والمحاور الذي يبدأ بتقديم نقاط أو مواضع الاتفاق بينه وبين الطرف الآخر، إنما يبدأ في الحقيقة بكسب ثقته، وبالتالي يبني معه جسراً من التفاهم إلى الأمر محل الخلاف.

ولذلك نجد القرآن الكريم – في قصة يوسف – أشار إلى هذا الجانب أو الأدب:

قال تعالى – عن إخوة يوسف في الحوار الذي دار بينهم –: ﴿**إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ * قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ [يوسف: ٨ – ١٠].

بدأ الحوار والنقاش بين الإخوة على موضع الاتفاق بينهم وهو قولهم: إن يوسف وأخيه الشقيق أحب إلى أبيهم منا، وأنه يفضلهما علينا، ونحن جماعة ذوو عدة وقوة، وأن أبانا لفي خطأ بين؛ لأنه فضلهما علينا من غير موجب نراه.

ثم اتفقوا على إبعاده والتفريق بينه وبين أبيه، ثم اختلفوا في كيفية الإبعاد، ثم اتفقوا أخيراً على إلقائه في جوف البئر يلتقطه بعض المارَّة من المسافرين فيستريحوا منه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٤- الحكمة في الحوار

المقصود بالحكمة: إتقان الأمور وإحكامها، وذلك بوضع كل شيء في موضعه الذي يوجبه العقل، والذي ينبغي فيما ينبغي.

قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن كثير رحمه الله: "أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب". ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/٥٩١).

ولعل سورة يوسف عليه السلام حظيت بهذا الأدب كغيرها من سور القرآن الكريم فمن الشواهد على ذلك:

١- تحذير يعقوب ليوسف – عليهما السلام – في شأن إخبار إخوته في رؤياه، مما يدل على بعد نظر وحكمة عظيمين.

فلعله كان يعلم افتقار أبنائه للعلم والتفهم اللازمين لإخبارهم بهذا، وفي ذات الوقت كان يعلم أن يوسف لن يثنيه هذا التحذير عن محبة إخوته لما له من كمال العقل، وصفاء السريرة، ومكارم الأخلاق. عثمان، ١٧ قاعدة نفسية في سورة يوسف (ص٣٢).

٢- أن يوسف عليه السلام في حواره مع صاحبي السجن بدأ بالأهم فالمهم، أو الأهم فالأهم، فمن الحكمة في الدعوة إلى الله، أن يقدم الداعية الأهم على المهم والكليات على الجزئيات، كتقديم يوسف دعوته إلى الله وحده قبل تعبير الرؤيا للفتيين.

٣- مراعاة يوسف عليه السلام للوضع النفسي لدى المدعوين – السجينين – ، فهو وجه دعوته لهما بحكمة، حيث اختار الوقت المناسب حينما سألاه عن تعبير رؤياهما، فانتهز الفرصة لما وجد لديهما الاستعداد للاستماع.

٤- مراعاة يوسف عليه السلام للجوانب العاطفية التي تقتضيها الصلات والعلاقات الاجتماعية، ولو تأملنا حوار يوسف مع صاحبيه في السجن لوجدنا هذا الجانب قد تجلى في حديثه إليهما، وفي علاقته معهما، فقد تودد لهما، وتحبب إليهما.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٥- أن يوسف استخدم مع أبيه – عليهما السلام – أسلوب الترغيب في الحـــوار، وكذلك يعقوب مع يوسف عليه السلام .

٦- وكذلك استخدم يوسف عليه السلام أسلوب الترغيب مع السجينين بالطريق الـــذي هو عليه، وبالوعظ والتذكير، والعبارات الحسنة، وبالكلمات المؤثرة، وهذا عين الحكمة.

٧- وفي حواره مع ساقي الملك، ومع إخوته لما عفا عنهم.

وهكذا فالدعية في حواره من الحكمة أن يستخدم الوسيلة المناسبة لحال المدعو.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٥- الدعـــاء

بمعنى: اللجوء إلى الله – تعالى - بالدعاء والاستعانة به عندما يُغلق الحوار .

لا شك أن الدعاء هو العبادة، وهو من أهم ما يقرب إلى الله – تعالى -، وهو من أقوى الأسلحة التي يستخدمها الداعية، فإذا أغلق الحوار مع الطرف الآخر، حينها ينبغي التوجه واللجوء إلى الله ﷻ ودعاؤه ورجاؤه والاستعانة به، فبه يعبد الإنسان ربه، ويتحقق مطلوبه، وينال مبتغاه، ويحصل رضا ربه جل وعلا.

وشواهد هذا الأدب في قصة أو سورة يوسف عليه السلام واضحة جلية منها:

١- قول الله تعالى – على لسان نبيه يعقوب –: ﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ١٨].

فهنا يعقوب عليه السلام في نهاية الحوار مع أبنائه، عندما جاؤوا بقميص يوسف عليه السلام ملطخاً بدم كذب، فهو لم يصدقهم، فاستعان بالله على احتمال ما يصفون من الكذب، وأنه يستمد صبره وحوله وقوته من الله – سبحانه -.

٢- قوله تعالى – على لسان نبيه يوسف عليه السلام –: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَاهِلِينَ**﴾ [يوسف: ٣٣].

وهنا ختم يوسف عليه السلام حواره مع امراة العزيز وصواحباتها، مستعيذاً بالله من شرهن ومكرهن، ودعا ربه بأن السجن أحب إليه مما يدعونه إليه من عمل الفاحشة، ثم قال: وإن لم تدفع عني مكرهن أَمِلْ إليهنّ، وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم، فاستجاب الله – تعالى – ليوسف دعاءه، فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز والنسوة اللاتي معها من معصية الله، ولهذا قال سبحانه: ﴿**فَٱسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾ [يوسف: ٣٤].

قال السعدي رحمه الله : "ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى الله، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته؛ لقول يوسف عليه السلام : ﴿**وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَاهِلِينَ**﴾". السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص٤٠٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- قوله ﷻ - في حوار يعقوب مع أبنائه عندما أرادوا أخذ أخيهم ليوسف - : ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

فأخبرهم أن ثقته بالله في حفظ أخيهم، وأنه يرجو أن يرحمه فيحفظه ويرده عليه.

٤- قوله تعالى - في حوار يعقوب مع أبنائه حيث قال لهم -: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

فدعا الله - تعالى - أن يرد إليه أبنائه الثلاثة، وهم يوسف وشقيقه وأخوهم الكبير المتخلف من أجل أخيه.

٥- وقال سبحانه - على لسان يعقوب أيضاً - : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

٦- قول يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيۤ إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨].

فهم لما وفقهم الله للاستغفار والتوبة، أجابهم أبوهم إلى ما سألوا، فقال: سوف أسأل ربي أن يغفر لكم ذنوبكم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٦- التحايل للوصول إلى الحق

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٠ – ٧٦].

ففي هذا الحوار الطويل الذي دار بين يوسف وإخوته، استعمل يوسف عليه السلام الحيلة التي يتوصل بها إلى الحق، حيث وضع السقاية – وهو الإناء الذي كان يكيل للناس به – في رحل أو متاع أخيه، ثم نادى منادٍ بعد رحيلهم، قائلاً: يا أصحاب هذه العير المحملة بالطعام، إنكم لسارقون.

فعمل مع أخيه هذا العمل؛ ليتوصل به إلى بقائه عنده من غير شعور منهم، فلما تقرر عندهم أنه هو الذي أخذ الصواع استفتاهم عن حكم السارق في دينهم فـ: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ [يوسف: ٧٥].

أي: جزاء السارق مَنْ وُجِد المسروق في رحله أن يُسلَّم بسرقته إلى من سرق منه، فحكموا على أنفسهم هذا الحكم الذي هو المقصود ليوسف عليه السلام، فيسر الله هذا العمل وهذا الحكم؛ ليبقى أخوه عنده، وما كان أن يأخذ أخاه في حكم ملك "مصر"؛ لأنه ليس من دينه أن يتملك السارق، إلاّ أن مشيئة الله – تعالى – اقتضت هذا التدبير والاحتكام إلى شريعة إخوة يوسف عليه السلام القاضية برقِّ السارق.

فالحيل التي على هذا النوع لا حرج فيها، وإنما المحرمُ الحيلُ والمكائدُ التي يُتوصل بها إلى إحلال المحرمات أو إسقاط الواجبات. السعدي، فوائد مستنبطة من قصة يوسف (ص٥١ – ٥٢).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال السعدي رحمه الله في "تيسير الكريم الرحمن" (ص٤١١) عند ذكره فوائد هذه السورة: "ومنها: جواز استعمال المكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع، التحيل على إسقاط واجب، أو فعل محرم"اهـ.

مما تقدم يتضح لنا أن التحايل والمكر الحسن الذي يتوصل به إلى الحق يعدّ من أدب الحوار، ولا يلجأ إليه إلا إذا احتاج إليه المحاور وكان الطرف الآخر ممن يُجيد المراوغة والخداع.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٧- الإحسان

قد جعل الله - تعالى - الإحسان في العبادة من شروط إحسان الدين، فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ [النساء: ١٢٥].

فلا أحد أحسن ديناً ممن انقاد بقلبه وسائر جوارحه لله - تعالى - وحده، وهو محسن.

وقد مَنَّ الله - تعالى - على يوسف عليه السلام بالإحسان، فقال سبحانه: ﴿لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَشَآءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

والإحسان في عبادة الله لا يتم إلا بالإحسان إلى عباد الله - تعالى - ، وهما أمران مجتمعان، ومرتبطان، ولا يمكن فصل بعضهما عن بعض، فالقلوب التي أذعنت لله وأحبته، وخشعت له هي القلوب التي تحن وتحنوا على الناس، فتكون هذه القلوب وعاءً يحتوي آلام الناس وهمومهم، ويجود عليهم بما يستطيع من مشاركة في غذاء أو كساء أو مسكن أو جاه أو مال.

والإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى العباد، سبب ينال به العلم وتنال به خيرات الدنيا والآخرة. ينظر: السعدي، فوائد مستنبطة من قصة يوسف (ص٧٩)؛ والعودة، مع المصطفى (ص٣٥٩٩.

ونجد هذا الأدب تجسد في حوار يوسف عليه السلام:

١- مع السجينين بإحسانه لهما، ولهذا وصفاه بالإحسان بقولهما: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

أي: إنا نراك من الذين يحسنون في عبادتهم لله، ومعاملتهم لخلقه.

٢ - وكذلك إحسانه لإخوته، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّيۤ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولهذا أمر يوسف عليه السلام بإكرامهم وحسن ضيافتهم، ثم أعطاهم من الطعام ما طلبوا.

وإخوة يوسف عليه السلام قد وصفوه بالإحسان في حوارهم معه فقالوا: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨].

ومن إحسان يوسف عليه السلام لإخوته عند اعترفوا بذنبهم وجريمتهم: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩١ – ٩٢].

قال العلامة السعدي – رحمه الله تعالى – في "تيسير الكريم الرحمن" (ص٤٠٥): "فسمح لهم سماحاً تاماً، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلاّ من خواص الخلق وخيار المصطفين"اهـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٨- العفــو

العفو عند المقدرة؛ والتغافر والتسامح، والعفو عن زلات الإخوان وهفواتهم من خلق المؤمن الذي يكظم غيظه، ويعفو عن الناس، ولا يثرب عليهم، ولا يلومهم، وينتحل الأعذار لإخوانه، ويحسن الظن بهم، لا سيما من يأتيك معتذراً، ويقدم اعتذاره وانكساره واعترافه بزلته.

وقد مَنَّ الله ﷻ على يوسف بهذا الأدب الرفيع مع إخوته، وذلك في حواره معهم، قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١].

وهذا غاية الاعتراف منهم بالجرم والخطأ الحاصل منهم على يوسف عليه السلام.

فقال لهم يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

ففي هذا الحوار العظيم، من نبي كريم وابن نبي كريم أن عفا عن إخوته عمَّا مضى، ووعد في المستقبل أن لا يثرب عليهم ولا يلومهم؛ ولا يذكر منه شيئاً؛ لأنه يجرحهم ويحزنهم، وقد أبدوا الندامة التامة بما حصل منهم؛ ولأجل هذا قال: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فلم يقل: من بعد أن نزغهم، أو نزع الشيطان إخوتي وحدهم، بل أضاف الفعل إلى الشيطان، الذي فرَّق بينه وبين إخوته، وكأن الذنب والجهل صدر من الطرفين، وهذا كمال الفتوة وتمام المروءة ألا يُعيِّر الإنسان غيره بالمعصية بعد أن يتوب منها؛ وهذا أيضاً من كمال مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، أن تقابل الإساءة بالعفو والحسن، والجهل بالحلم والعفو عند المقدرة، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٢٢].

فالعفو عند المقدرة يعتبر موضع قوة لا ضعف ولا مزلة في الشخص، ولهذا ذكر سبحانه العفو وبعده الصفح، يعني: أن أعفو مع الصفح، قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأكثر من ذلك يقول ﷻ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوۤءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾ [النساء: ١٤٩].

فالقرآن ذكر كلمة (سوء) كالشتم، أو الضرب، أو الإهانة، ومع ذلك فهو يطلب العفو حتى عن هذا السوء.

ولذلك لما سُئلت عائشة – رضي الله عنها – عن خلق رسول الله ﷺ قالت: "لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح". الترمذي، في سننه (٢٠١٥) وقال "هذا حديث حسن صحيح".

فهذه هي الأخلاق النبوية التي ينبغي أن تتجسد في روح الأمة، وأن تتحقق في حواراتها، سواء من أبنائها، أو رؤسائها، أو اجتماعاتها. ينظر: السعدي، فوائد مستنبطة من قصة يوسف (ص٦٢)؛ والودعان، كيف تكسب أخاً في الله (ص٥٧ – ٥٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٩- البساطة

يلاحظ مما تقدم في النماذج الحوارية السابقة وغيرها، لا يسعنا إلاّ أن نقر ببساطة أسلوب الحوار في القرآن – الكريم – ووضوحه – كما تقدم –، لا سيما ما نحن بصدده في سورة أو قصة يوسف عليه السلام، سواء على مستوى العبارة والكلمات، أو على مستوى الاستدلال وطريقة الحجج وإقامة البراهين.

ومما لا شك فيه أن قصد الشارع الأصلي، من مخاطبة الناس بالرسالة عموماً هو الإفهام وليس الإفحام، ومن الشواهد أيضاً في الآيات الحوارية في سورة يوسف عليه السلام:

١- قول الله تعالى – على لسان نبيه يعقوب –: ﴿**يٰبُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [يوسف: ٥].

فيلاحظ البساطة جلية في محاورة الأب مع ابنه، وتجنب التعمق في الجواب عندما سأل يوسف عليه السلام عن رؤياه، بعيداً عن التعقيدات التي تشوش على تفكيره، وهذه البساطة يدركها كل عاقل متدبر لكتاب الله تعالى .

وفي هذا إرشاد إلى الآباء في محاورة أبنائهم، وأهل التربية والمعلمين في محاورة طلابهم، والبعد عن التعقيد في الخطاب، وزرع الثقة في نفوسهم، واختيار الألفاظ الحسنة، وهذا هو الأدب – أيضاً – الذي ينبغي أن يأخذ النشء به في حواراتهم.

٢- قول يوسف – عليه السلام، للسجينين –: ﴿**إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُمْ بِٱلآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ [يوسف: ٣٧].

فنرى هذا الأسلوب الحواري فيه من البساطة الواضحة، بعيداً عن الألفاظ التعصبية، أو العبارات الفظة، أو الاصطلاحات المعقدة، وإنما استخدم مستوى الأسلوب المعتمد في الاستدلال والإقناع، بل عرضها بكل بساطة في عملية تجاوب بديع مع العقل والفطرة؛ ليترك للإنسان – من خلال ذلك – المجال مفتوحاً للاستنتاج والحكم . ينظر: أوهنا، أسلوب الحوار في القرآن الكريم (ص١٥٢ – ١٥٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخاتمة

وبعد هذا التطواف الإيماني والتربوي في سورة يوسف عليه السلام، والتأمل وإمعان النظر في موضوع الحوار، فإن البصير الحاذق يدرك أن كتاب ﷻ فيه من الآيات والأسلوب والمعاني والعبر والآداب ما يزيده هدىً، وفقهاً، ومنهجاً يسير عليه في حياته، لا سيما ما نحن بصدده في إدارة الحوار بالعلم والحكمة، والإقناع والتأثير على الآخرين...

وما هذه الورقات إلا محاولة متواضعة تناولت فيها آداباً مفقودة في حواراتنا المتعددة المعهودة، كشفت عنها سورة يوسف عليه السلام العظيمة الجليلة، في كتاب رب البرية، سائلاً الرب والمولى ﷻ أن ينفع بها أمتنا الوسطية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن اهتدى من الأمة المحمدية.

المؤلف

د. محمد بن فهد بن إبراهيم الودعان

الرياض ١٤٢٨هـ

جوال: ٠٥٠٤١٢٦٦٢٤

ص.ب: ٣٨١٣١

الرمز البريدي: ١١٤٥٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المراجع

١. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤١٢هـ.

٢. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

٣. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. ط مصطفى الحلبي، القاهرة.

٤. زمزمي، يحيى بن محمد حسن. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. دار المعالي، عمان، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٥. ديماس، محمد راشد. فنون الحوار والإقناع. دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦. عثمان، أكرم مصباح. ١٧ قاعدة نفسية في سورة يوسف. دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧. الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٨. الودعان، محمد بن فهد. الفوائد المجموعة في الرؤى من سورة يوسف. كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ.

٩. العودة، سلمان بن فهد. الأمة الواحدة. مؤسسة الإسلام اليوم، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٠. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. طبعة دار الإفتاء، ١٤٢٠هـ.

١١. فجّال، محمد بن محمود. الأسرار البلاغية للحذف في سورة يوسف. أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ.

١٢. البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. دار السلام للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

١٣. خفاجي، محمد عبدالمنعم. تفسير القرآن الحكيم. دار العهد الجديد، ط١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفهرس

- شكر ٢
- توطئة ٣
- مقدمة ٦
- آداب الحوار ٨

١- الإخلاص وصدق النية ٩
٢- اختيار الوقت المناسب للحوار ١١
٣- حسن اختيار الكلمات ١٣
٤- التواضع وخفض الجناح ١٥
٥- حسن الاستماع ١٦
٦- العلم بمادة الحوار ١٨
٧- مناداة المحاور باسمه أو لقبه ١٩
٨- الصبر في الحوار ٢٠
٩- القوة والثبات على الحق ٢١
١٠- المحبة رغم الخلاف ٢٣
١١- احترام الطرف الآخر ٢٤
١٢- التدرج والبدء بالأهم ٢٧
١٣- الوضوح والبيان ٢٨
١٤- الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ ٣٠
١٥- التعريض والتلميح ٣٢
١٦- ثناء المحاور على نفسه عند الحاجة ٣٣
١٧- الحذر والمداراة ٣٤
١٨- توقع المخالفة رغم الاقتناع ٣٥
١٩- الهدوء والثقة بالنفس ٣٦
٢٠- تأكيد القضية وتقريرها ٣٧
٢١- استحضار الدليل ٣٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٢- البُعد عن نقد الأشخاص ٤٠
٢٣- الإقناع بالاستفهام ٤٣
٢٤- الموعظة الحسنة ٤٤
٢٥- التعارف ٤٧
٢٦- الدعوة ٤٨
٢٧- الصدق والأمانة ٤٩
٢٨- أدب السؤال ٥٢
٢٩- مراعاة الظروف النفسية ٥٥
٣٠- الفراسة وحسن التصرف ٥٧
٣١- مراعاة الأفهام والعقول ٥٩
٣٢- الوصول إلى أخف الأضرار ٦١
٣٣- البدء بمواضع الاتفاق ٦٢
٣٤- الحكمة في الحوار ٦٣
٣٥- الدعـــــاء ٦٥
٣٦- التحايل للوصول إلى الحق ٦٧
٣٧- الإحسان ٦٩
٣٨- العفو ٧١
٣٩- البساطة ٧٣
- الخاتمة ٧٤
- المراجع ٧٥
- الفهرس ٧٦